***خلافة الرشيد***

***170 – 193 هـ***

بويع لهارون الرشيد بالخلافة في الليلة التي مات فيها الهادي وأستمر حكم هارون الرشيد حوالي 23 عاما شهدت الدولة العباسية خلالها أوج ازدهارها .

وفي السنوات الأولى من حكم هارون تركت أمور الدولة لوزير الخليفة يحيى بن خالد . ويحيى هذا كان واقعا تحت تأثير الخيزران أم الخليفة التي ماتت في أواخر سنة 173هـ .

وعلى أيام المهدي قام يحيى بن خالد بن برمك بولاية أذربيجان ثم أنه أستدعى الى بغداد ، وعندما عين الرشيد واليا للولايات الغربية من الدولة بالإضافة الى أرمينية وأذربيجان كان يحيى بن خالد على ديوانه وظل يحيى مخلصا للرشيد فنصحه بعدم التنازل عن ولاية العهد عندما حاول الهادي أن يرغمه على ذلك فلقي يحيى بعض الاذى في هذا السبيل فتقول بعض الروايات أنه سجن بعض الوقت وأن الهادي كان بفكر في قتله وقد اعترف له الرشيد بوفائه وأخرجه من الحبس واستوزره ، وادار يحيى مقاليد الأمور في الدولة بالاشتراك مع أبنيه الفضل وجعفر من 170 – 187هـ .

وبينما كان الفضل بن يحيى البرمكي يلي الولايات الشرقية تمكن من تحقيق أعمال عسكرية كبيرة فأخضع الديلم، وغزا ما وراء النهر وبلغ نفوذه هناك حتى منطقة اشروسنة وكذلك حقق الفضل أعمالا سليمة هامة فأليه ينسب بناء المساجد والرباطات الكثيرة في إقليم خراسان . والبرامكة من الاسر الفارسية العريقة تنتسب الى جدها برمك ،وهو لقب اطلق على سادن معبد النوبهارفي مدينة بلخ .

وفي نفس الوقت كان أخوه جعفر ببغداد مقربا الى الخليفة تاركا الولايات التي كانت تابعة له لنوابه وكان يستفيد من غلاتها فقط . ولكن صداقته للخليفة انتهت . وهناك عدة روايات تبين الأسباب التي أدت الى حنق الخليفة عليه وأخرها القصة التي تنقلها النصوص بأنه لم يحترم الزواج الصوري الذي كان عقده الخليفة له على أخته العباسة وذلك لكي يتمتع الرشيد بمحضرها .

ومنذ سنة 173هـ عند وفاة أم الخليفة أعفي جعفر من حمل الخاتم الذي كان يحمله حتى ذلك الوقت ، وعهد به وكذلك ببعض شؤون الدولة الى الفضل بن الربيع .

وفي سنة 187هـ عندما قفل الرشيد من أداء فريضة الحج وكان حريصا على القيام بها باستمرار قتل جعفر في أول صفر , وكان جعفر يبلغ من العمر حوالي 37 عاما وعرض رأسه على الجسر الأوسط ببغداد كما عرض نصفي جسده على الأخويين حتى أمر بإحراقها فيما بعد سنة 189هـ .

أما عن والده وأخوته فأنه قبض عليهم وصودرت أملاكهم وأموالهم وسينتهي الأمر بيحيى في أن يموت محبوسا سنة 190 هـ له من العمر 70 عاما وسيتوفى الفضل في سنة 193هـ له من العمر 45 عاما .

لم تنقطع الاضطرابات الداخلية في الدولة على أيام هارون الرشيد كما نتبين من الروايات فقد سرت هذه الاضطرابات في دمشق والموصل والجزيرة وحتى مصر ايضا وأشترك فيها العلويين والخوارج معا .

* ***الفتنة بدمشق***

ففي سنة 176هـ قامت الفتنة في دمشق بين العصبيتين المضرية واليمنية وساد البلاد الفوضى نحو سنتين ووقع بين العصبيتين معارك سقط فيها كثير من الناس.

ورغم عزل والي دمشق عبد الصمد بن علي واستعمال عامل جديد هو ابراهيم بن صالح بن علي فأن الفتنة لم تخمد بل زادها الجديد تأججا اذ أنه وقف الى جانب اليمنية ضد اعدائهم وأنتصر القيسية على اليمنية ونهبوا مواضعهم قرب دمشق بل واستولوا على دمشق وعندئذ اضطر اليمنية الى طلب الأمان ،وأراد ابن الوالي أن ينتقم من الثوار فكان ذلك نذيرا بتجدد المعارك ولم يقف القتال الا عند وصول قائد الرشيد الذي قبلت القيسية طاعته .

ولم يستمر الهدوء ، طويلا اذ يوجد في حوليات سنة 180 هـ ذكر لمسير جعفر بن يحيى بن خالد الى الشام بنفسه ومعه القواد والعساكر والسلاح والأموال وذلك " للعصبية التي بها " فتمكن من تسكين الفتنة وأطفأ النائرة وعاد الناس الى الأمن والسكون (1) .

* ***الفتنة بالموصل***

وشهدت الموصل الكثير من الثورات منها ثورة سنة 177 هـ التي تزعمها رجل من الأزد تمكن من السيطرة على الناحية وجبى خراجها مدة سنتين حتى خرج اليه الرشيد بنفسه ، وهدم سور المدينة وأقسم ليقتلن من لقي من أهلها لولا أن أفتاه القاضي أبو يوسف ومنعه من ذلك ولم يتمكن الرشيد من القبض على الثائر الذي فر الى أرمينية وأستعمل الرشيد عليها وال أساء فيهم السيرة وظلمهم وطالبهم بخراج سنتين مضت فهاجر أكثر أهل البلد عنها .

* ***خراسان***

أما عن بلاد خراسان فأنه الى جانب الثورات الخارجية التي عرفتها شهدت ايضا حدوث اضطرابات وفتن منها ثورة قام بها رجل يعرف بابن الخصيب وذلك بمدينة نسا في سنة 183 هـ وأتعب هذا الرجل والي خراسان وهو علي بن عيسى بن ماهان تعبا شديدا وذلك أنه بعد أن طلب الأمان عاد ونقض وغدر بابن الوالي وتغلب على ايبورد وطوس ونيسابور وحاصر مدينة مرو ولكنه عجز عن أخذها واضطر عيسى بن ماهان الى المسير اليه في سنة 186 هـ الى نسا " فقتله وسبى نساءه وذراريه واستقامت خراسان " .

والظاهر أن الخليفة – كما نتبين من النصوص – كان مسؤولا الى حد كبير عن اضطراب بلاد خراسان وذلك أن الوالي علي بن عيسى أستغل البلاد أستغلالا سيئا مما دفع كبراء أهل البلاد وأشرافها ان يكتبوا الى الرشيد في سنة 189هـ يشكون سوء سيرة ابن ماهان وظلمه واستخفافه بهم وأخذ اموالهم " سار الرشيد الى الري لينظر في أمر خلع الوالي ولكن الأخير أتاه من خراسان وأهدى له الهدايا الكثيرة الأموال العظيمة وأهدى لجميع من معه من أهل بيته وولده وكتابه وقواده من الطرف والجواهر وغير ذلك . وانتهى الامر بطبيعة الحال بأن رده الخليفة الى ولايته من جديد .

ولكنه في سنة 190هـ اضطرب مشرق الدولة من جديد وذلك عندما ظهر الثائر رافع بن الليث بسمرقند من ارض ما وراء النهر وذلك لأسباب تتعلق بالأخلاق وجلد رافع وقيد وطيف به على حمار ليكون عظة لغيره فثار وأستطاع أن يستولي على المدينة وقتل عاملها وهزم جيشا أرسله اليه عيسى بن علي بن ماهان وغلب رافع على بقية ما وراء النهر ثم أنه بعد ذلك استعمل الترك المقيمين في هذه النواحي تمكن هؤلاء من قتل عيسى بن علي وعندما سار علي بن عيسى والي مرو ليحميها من رافع عزله الرشيد كما نستبين من النصوص طمعا في أمواله واستعمل بدلا منه هرثمة بن أعين وقبض ابن أعين على الوالي المعزول وأخذ أمواله بأمر من الرشيد . وجد هرثمة في حرب رافع فحاصره بسمرقند واستعان بطاهر بن الحسين القائد المشهور في قتاله وأهتم الخليفة بأمر رافع وأشفق من تزايد خطره حتى أنه عزم على الخروج اليه بنفسه. ولكن الرشيد سيموت في الطريق وذلك قبل القضاء على ثورة رافع بن الليث التي ستستمر حتى سنة 195هـ .

أما عن الخوارج فأن ثوراتهم لم تنقطع خاصة في إقليم الجزيرة ، وكذلك في خراسان .

ففي أول عهد الرشيد قام احدهم بالجزيرة وهزم الوالي وتقدم نحو الموصل وهزم حامية المدينة ولم تتمكن جيوش الخليفة من النيل منه الا بعد عناء شديد .

وفي سنة 175هـ وخرج أحد الموالي من القيسية وهو حصن الخارجي بخراسان وهزم والي سجستان ، واستولى على عدد من المدن واستطاع كما تقول الروايات وهو في قلة من قواته لم تتجاوز الستمائة رجل أن يهزم الجيش الذي سيره والي خراسان وكان يبلغ أثني عشر ألفا ، وظل الثائر يعيث في البلاد فسادا حتى قتل سنة 177 هـ .

وأثناء ثورة الحصين ، قام خارجي أخر بالجزيرة وقدم الموصل وتمكن من هزيمة عسكرها وذلك قبل أن يقتل .

أما الثورة الخارجية التي أزعجت الخليفة فهي ثورة الوليد بن طريف التغلبي الذي خرج بالجزيرة سنة 178هـ وفتك بالمسلحة العباسية في نصيبين وقوي أمره فدخل أرمينية وأذربيجان وأرض الجزيرة وعاث فيه وأتعب قائد الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني وبعد مقتل هذا الثائر قام الرشيد بأداء العمرة شكرا لله .

وفي سنة 179هـ خرج بخراسان ثائر خارجي أخر هو حمزة بن اترك السجستاني الذي دوخ جيوش علي بن هامان حتى أن الوالي قصد القرى التي كان أهلها يعينون حمزة فأحرقها وقتل من فيها وتورد النصوص أن هذا الثائر قام بأعمال فظيعة منها أنه كان يقتل الغلمان بالمكاتب كما كان يقتل معلميهم واضطر طاهر بن الحسين عامل ابن ماهان على بوشنج الى القيام بأعمال رهيبة ضد الخوارج المحاربين منهم والقاعدين غير المحاربين ومن لهم ديوان ومن ليس ديوان لهم تقول الروايات أنه كان يشد الرجل منهم في شجرتين يجمعهما ثم يرسلهما فتأخذ كل شجرة نصفه وذلك حتى طلبوا الأمان في سنة 185 هـ .